# المناسك

## الحج والعمرة وأحكامهما

على المذاهب الأربعة

وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم


تأليف

محمد محيي الدين عبد الحميد

أستاذ في كلية أصول الدين

بالجامع الأزهر

الناشر

المكتبة العلمية بمكة المشرفة

لصاحبها عبد الفتاح فدا وأولاده

بباب السلام

مطبعة السعادة بمصر

١٩٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ، وَلَا الضَّالِّينَ .

والحمدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ .

والحمدُ للهِ كِفاءَ نعمته ، والشكر له على ما أولانا من فَضْله ، لا نُحصِي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه

والصلاةُ والسلامُ على مُصْطَفَاهُ من بَرِيَّتِهِ ، سيدنا محمد بن عبد الله خيرِ خلقه وأفضل من دعا إلى الله على بصيرةٍ ، وعلى آله وصحبه وعِتْرَتِهِ .

و بعد ، فهذا كتابٌ وَصَفْتُ فيه المَشَاهِدَ المُقَدَّسة التي تَهْوِى إليها أفئدةُ المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وصْفاً يُجَلِّيها لأعْيُنِ قارئيه ، وذكرتُ مع كل مشهدٍ منها لمحةً تاريخية تقُصُّ ما مرَّ به من عمارةٍ وتجديد ، وما طرأ عليه من تغير ، ثم بينت ما يُحيط بكل مشهد أو يدنو منه من آثارٍ لها فى القلوب والمشاعر آثار تهتز عند ذكراها ، ثم قَفَّيت على ذلك كله ببيان الحج والعمرة وأعمالها على المذاهب الأربعة التي يَعْبُدُ المسلمون على مناهجها خالِقَهُمْ ، و بالغتُ فى تيسير العبارة وضَبْطِهَا ؛ لتكون أقربَ إلى الفهم .

وأنا أرجو الله تعالى أن يُجْزِل لى المَثُوبَةَ على ذلك ؛ فإنه وحده الذى يجزى العاملين .

كما أرجو مَنِ اطلع عليه أن يلتمس لى العذر إن وَجَدَ ما لا يخلو منه عملُ إنسانٍ من هفوة زلَّ بها القلم ، أو زلة غَفَل عنها إدراكى ، فكل كتابٍ — غيرَ كتابِ الله تعالى — حَرِىٌّ بأن يقع فيه الاختلافُ والاضطرابُ ؛ ليكون ذلك أحَدَ الدلائل على إعجاز كتاب الله تعالى و بلوغه الغايَةَ التى ليس فوقها غاية من الإحكام والإبانة . كما أرجو كل أخٍ من إخوانى المؤمنين بالله اطَّلع عليه فأفاد منه أن يَدْعُوَ لى و لِوَالِدَىَّ بظَهْر الغَيْبِ دعوةً أنتفع بها يومَ تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ مُحْضَرًا ، وما عملَتْ من سُوءٍ تَوَدُّ لو أن بينها و بينه أمداً بعيداً .

اللهمَّ إنَّ بك اعتصامى ، و إليك التجائى ، لا تَكِلْنِى إلى نفسى يا أرحم الراحمين .

كتبه المفتقر إلى عفو الله

القاهرة { ٢٠ من شوال ١٣٧٠ / ٢٤ من يولية ١٩٥١

محمد محيى الدين عبد الحميد

# حكمة مشروعية الحج

قال الله تعالى : ( وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » .

اعلم يا أخي ـ وفقني الله تعالى وإياك إلى طاعته ، وألزمنا طريق الحق والطاعة ، وجنبنا طريق الضلال والمعصية ! ـ أن الله ـ جلت قدرته وتعالت كلمته ! ـ لم يشرع لنا من الدين إلا ما فيه مصلحة عائدة إلينا ، وأنه سبحانه غنى عن العالمين ، لا تنفعه طاعة المطيع ، ولا تضره معصية العاصى ، ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ) .

ثم اعلم أن الحكمة العامَّة لشرع هذه التكاليف تربيةُ الإنسان تربيةً صالحة ، وتقويمُ نفسه تقويماً يحملها على حب الخير وأهله ، والعمل به ، والدعوة إليه ، ثم تكوينُ الإنسان تكوينا يجعله عضواً نافعاً فى الجماعة الإنسانية : عاملا لا تُكَلَّة ، صالحا لا فاسدا ، قادرا لا عاجزا ، مأمونَ

المَحْضَرِ والمغيب لا بَهَّاتاً ولا مُنَافقاً ، يعرف الحق و يعمل به ، ولا يحيدُ عنه لهوًى أو رغبةٍ فى عاجل أو تقليدٍ لمن أكبرتْهُمُ الدنيا أو عَظَّمهم الناسُ زَيفاً و باطِلاً.

ولكل عمل من أعمال الإسلام التى شرعها الله ورسولُه سببٌ متصل بهذه التربية ، والغرضُ الآن بيانُ السبب المتصل بها من الحج إلى بيت الله العتيق ، فنقول :

تذكر أولا أن هذا البيت الحرامَ قد حج إليه الأنبياء والمرسَلُونَ من قبل سيدنا ومولانا رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وتذكر أنهم كلهم عظموه وقَدَّسوه ومجدوه وطافوا به ، فإذا تذكرت ذلك وألْقَيْتَ إليه بالَكَ ، فتصَوَّر أنك تؤدى ما أدَّوْه ، وتفعل ما فَعَلُوه ، وهم قومٌ أنْعَمَ الله تعالى عليهم بأجلِّ النعم ، نعمةِ الهداية والدَّعْوَة إلى الله والصَّبْر على الأذى واحتمال المشاقِّ فى سبيل الله ، فإذا تصورت ذلك فأنت خليقٌ بأن تَتَشَبَّهَ بهم فى هذه الصفات وأشباهها كما تتشبه بهم فى هذه الأعمال .

ثم تذكر أن لله تعالى ملائكةً يَطُوفون حَوْل عرشه ، وأن هؤلاء الملائكة لا يَعْصُونَ الله ما أمرهم و يفعلون مايؤمرون ، وتذكر ـ مع ذلك ـ أن الله تعالى أمر آدم أبا البشر حين أهبطه إلى الأرض أن يبنى البيت الحرام ليطوف به ، وليذكر الله عنده على نحو ماتصنع الملائكة حول عرش ربّهم ، فإذا تذكرت ذلك فتصوَّر أن المقصود من الطواف حول هذا

البيت هو التشبُّه بالملائكة ، وتصور أن هؤلاء الملائكة كرامٌ بَرَرَة أخيار ، لا يَقْتَرِفُونَ معصية ، ولا يجترحون سيئة ، فإذا أنت تصورت ذلك وألقيت بالك إليه فاعلم أن عليك أن تتشبه بالملائكة الأطهار الأبرار الأخيار فى إقبالهم على طاعة الله وابتعادهم عن معصيته .

ثم تذكر أنك لا تَدْنُو من هذا البيت حَاجًّا أو مُعْتَمِرًا إلا وقد خلعت ثيابك ، وتجردت عن كل ماهو من زينة الدنيا وزُخْرُفها ، وأنك مكلف أن تظهر فى أعمالك كلها بمظهر الخشوع والضَّرَاعة والمسكنة والحاجة إلى خالقك ورازقك ، وأن ذلك من وسائل قبول عملك الذى جَشَّمت نفسَكَ السفر لأدائه ، فإذا تذكرت ذلك وألقيت بالك إليه فاعلم أن هذا من الله تعالى إيذانٌ بأنه لا يرضى عن التعاظم والكبرياء والمَخِيلة ، ثم هو منه سبحانه إيذانٌ بأنه لا ينظر إلى صُوَرِكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم

وتذكر أن كل حَاجٍّ يتجرد من ثيابه وزينته ، ويُكَلَّفُ أعمالاً أغلبها حركة وسير على الأقدام ، فإذا تذكرت ذلك فتصوَّر أن الرُّجُولة لا تتمُّ إلا باصطناع الزهد فى لذائذ الدنيا وشَهَوَاتها ، وبالانخلاع من كل عمل يَدْعُو إلى الركود أو يُعِينُ عليه ، وأن الدَّعَة والراحة والانغماس فى الملاذِّ ـ ولو كانت مُبَاحة ـ يُورِثُ ضَعْفاً ، وقد يَجُرُّ إلى خُنُوثةٍ ، فإذا تصورت ذلك وألقيت إليه بالك فاعلم أن الله تعالى — حين فرض على هذه الأمة الحجَّ وجعل من شعائرِهِ هذا التجرد — إنما أراد أن يجعل من أفراد المسلمين

رجالا أشِدَّاء أقوياء ، لاتبطرهم النعمة ، ولا يُطْغِيهم ما عسى أن يناله أحدُهم من سَعَةٍ ، وأنهم يجب أن يُدَرِّبوا أنفسهم على الرجولة لينتفعوا بها إذا جَدَّ الجِدُّ ، وعلى الاخشيشان لأن النعمة والدَّعة لا تَدُومان .

وتذكر أنك تُقْدِم على هذا البيت الحرام وقد لَبِسْتَ ثوباً استويت فى لبسه أنت وأضعفُ خَلْقِ الله تعالى وأفقرهم وأشدهم سلطانا وأكثرهم مالاً ، فإذا تذكرت ذلك وألقيت بالك إليه فاعلم أن هذا إيذان من الله تعالى بأن الخلق كلهم سواء لديه ، لا فَضْلَ لعربى على عجمى ، ولا لذى جاه وسلطان على مَنْ لاجاه له ولا سلطان ، ولا لبائس فقيرٍ على مَنْ جَمَع مالاً وعَدَّده ، وإنما يتمايزون عنده بالتقوى والعمل الصالح ، ورُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ ذِى طِمْرَيْنِ لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ .

وتذكر أن فى الحج عَمَلاً يُؤَدَّى فى وقت مُعَين وفى مكان معين ، ولا يجوز أن يؤدَّى قبله ولا أن يؤدى بعده ، وأن ذلك يقتضى الحجَّاج جميعاً أن يكونوا فى هذا المكان فى الوقت المحدود له شرعاً ، فإذا تذكرت ذلك فتصور أن فى ذلك إيذاناً من الله تعالى لأهل هذه الملة بأن يجتمع منهم أولو النهى والأحلام ، فى صعيد واحدٍ ؛ ليتدارسُوا أحوالهم ، ويتعارفوا ما تمس إليه حاجتهم أو حاجة جماعة منهم ، فإذا أنت تصورت ذلك وألقيت بالك إليه فاعلم أن الله تعالى — حين شرع الحج — قد دعا أهل الإيمان به إلى الأُلْفَةِ ، واجتماع الكلمة ، والتَّوَاصِى بالحق ، والتَّوَاصِى بالصبر ، ثم إلى عَقْد ما يسمى

فى عرف هذا العَصْرِ بالمؤتمرات لبَحْث الشؤون العامة للمسلمين وللإسلام ؛ واعلم أن المسلمين قد عرفوا ذلك من حِكَم دينهم قبل أن تعرفه الأممُ التى تَدَّعِى المدنيةَ اليومَ بأجيال وأجيال ، وقد كان كثير من السلف الصالح حين يذهب إلى الحج يَعْرِض على مَنْ يَلْقَاهُ من أهل الذكر من المسلمين مايعترضه من مشاكل عسى أن يجد عند أحدهم حَلاًّ لها . وما هـذه الرابطة العربية التى يدعو لها أهلُ الحل والعقد من رجالات الدُّوَل العربية بشىء إلا شيئاً لايعبأ به إذا قيست بهذا المؤتمر الذى يحضره قومٌ أخلصوا نياتهم لله، وتجرَّدوا عن كل ما هو من زينة الدنيا ومبعث الخيلاء فيها ، وانصرفوا إلى حمد الله وتسبيحه وتكبيره والضَّرَاعة إليه؛ فكانت لهم من ذلك كله رُوحانية وقوةُ يَقينٍ وصدقُ عزيمةٍ ، وتلك خِلَالٌ تُعْجِزُ أهلَ الدنيا جميعاً

ولعمر الحق لو أن المسلمين فَطِنُوا لما فى عباداتهم من حِكَمٍ وحاوَلُوا الإفادة منها لكانت لهم العزَّةُ والسلطانُ ، ولكنهم ـ والله تعالى يهديهم ويوفقهم ! ـ انصرفوا عن لب اللُّبَاب ، وتمسَّكوا بظَوَاهِرِ الأمور ، وتعلَّقُوا بواهى الأسباب ، فتَدَاعَتْ الأممُ عليهم كما يتداعى الأَكَلَة على القِصَاع ، بَصَّر الله ـ سبحانه ! ـ المسلمين بدينهم ، ونفعهم بآدابه العالية ، وجعل لهم منه ما جعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولصحابته الأخيار من الظهور على عَدُوِّهم ! آمين .

هذا بعضُ ما مَنَّ الله به علينا من فهمٍ لحكمة مشروعية هذه العبادة العظيمة الأجْرِ ، كتبتها حسبما أتيح لى ، وحكمتُهَا فوق ما تدركه العقول ، وتَصِلُ إلى كُنْهِهِ المدارك ، والله ـ سبحانه !ـ المسؤول أن ينفعنى وإخوانى المسلمين بهذا العمل ، إنه السميع المجيب ، آمين .

كتبه شديد الافتقار إلى عفو الله تعالى ومغفرته

محمد محيى الدين عبد الحميد

# القسم الأول من الكتاب

## فى وَصْفِ الْمَشَاهِدِ الْمُقَدَّسَةِ